الفصل الرابع

الإسهامات العلمية لعلماء قبيلة لَخْم فى العلوم الإنسانية والتطبيقية

أولا: العلوم الإنسانية.

ثانيًا: العلوم التطبيقية (التجريبية).

الفصل الرابع: الإسهامات العلمية لعلماء قبيلة لَخْم فى العلوم الإنسانية والتطبيقية

أولا: العلوم الإنسانية:-

تضم العلوم الإنسانية علومًا متنوعة قدم فيها علماء قبيلة لَخْم دورًا طيبًا[1] تجلى فى اهتمامهم بالتاريخ والتراجم والطبقات والأنساب وعلم التعبير، وقد جاء دورهم تجاه هذه العلوم بارزًا فى عنايتهم بها وبمؤلفاتها، فضلا عن آثارهم العلمية فى كل حقل من هذه الحقول[2]؛ حيث برز بعض المؤلفين اللَخْميين فى التأليف فى العلوم الإنسانية بالأندلس كالأنساب والتاريخ والتراجم والطبقات، وكانت قُرْطُبة والمَرِيّة وإِشْبِيلِيَة من المراكز المهمة التي بزغ فيها نجم علماء قبيلة لَخْم بمؤلفاتهم فى هذه العلوم. ويمكن استعراض جهودهم فى هذا الجانب وفق ترتيب العصور ليبرز لنا دورهم وتطوره بالأندلس، فيما تجلى بداية من عصر الخلافة الأموية بالأندلس.

1- التاريخ:-

كان علم التاريخ من بين العلوم التي حازت على اهتمام وعناية الأندلسيين عامة واللَخْميين بصفة خاصة بداية من عصر الخلافة الأموية بالأندلس؛ إذ تجلت عناية علماء قبيلة لَخْم بحفظ الأخبار والأيام والمشاهد والتَّواريخ، فضلا عن الإسماع لكتب التاريخ وقص الأخبار، بالإضافة إلى التأليف فى هذا العلم، حتى اشتهر منهم من كان له تقدم فى الأخبار ومعرفة بأيام الناس، وعناية بالتواريخ.

جدير بالذكر أن عناية الأندلسيين بالتاريخ وما يتصل به من معارف قد بدأت منذ أن أصبحت الأندلس جزءًا من عالم الإسلام بعد فتح العرب لهذه البلاد .. وكانت أبصارهم تتوجه دائما إلى مراكز الثقافة الإسلامية فى المشرق ينهلون من مواردها[3]، وقد تجلى ذلك عند علماء قبيلة لَخْم

---

(1) انظر: (الملاحق): (ملحق رقم 13، جدول رقم 10): يوضح العلماء اللخميين المشتغلين بالعلوم الإنسانية بالأندلس.

(2) انظر: (الملاحق): (ملحق رقم 14، كشاف رقم 3): المؤلفات العلمية لعلماء قبيلة لخم بالأندلس؛ مؤلفات العلماء اللخميين فى العلوم الإنسانية.

(3) محمود علي مكي: السيرة النبوية فى التراث الأندلسي، (مجلة الهلال، مصر، العدد رقم: 5، 1 أغسطس 1978م)، ص 102.

بالأندلس؛ إذ أسهم العلماء اللَخْميين فى إداخل كتب التاريخ العام بالأندلس؛ حيث لاقت كتب أحمد بن زهير بن أي خيثمة (ت279هـ/892م)، وكتب عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت276هـ/889م)، اهتمامًا عاليًا من الأندلسيين[1]، وأقبل الناس على من أدخلها الأندلس من اللَخْميين بقُرْطُبة، وتجلى ذلك عند مُحَمَّد بن زكرياء اللَخْمي (... – 322هـ = ... – 933م)، من أهل قُرْطُبة؛ سمع الناس منه تاريخ آبن أبي خيثمة (ت 279هـ)، و"الذي بلغت أجزائه مائة مجلد"[2]، وأثنى عليه الخطيب البغدادي بقوله: "لا أعرف أغزر فوائدًا من الكتاب الذي صنعه ابن أبي خيثمة"، كما سمع الناس منه بعض كتب ابن قتيبة الدينوري[3] (ت276هـ/889م) وذلك بعد عودته من رحلته إلى بغداد، وكان قد سمع منه كتبه، وبالأندلس سمع من مُحَمَّد وضَّاح، والخُشَنِيّ وغيرهما من شيوخ الأنْدَلُس كثيرًا، وسمع من مُحَمَّد بن عبد الملك بن أيمنَ، وقاسم بن أصبغ، وشارك قاسم بن أصبغ، وابن أيمن فى جميع روايتهما، وكان ضابطاً ثقة، زاهداً ورعًا، صاحب ليل وعبادة، وكانت فيه دعابة[4].

كما تجلى لديهم العناية بقص الأخبار؛ فاهتم بذلك فى إِشْبِيلِيَة أبي أيوب؛ سليمان بن سليمان بن حجاج بن حبيب بن عمير اللَخْمي (... – 338هـ= ... – 949م)، من أهل إِشْبِيلِيَة، وهو ابن أخي إبراهيم بن حجاج صاحبها: كان حافظًا للأخبار القديمة حسن الاقتصاص لها[5].

(1) يوسف أحمد يوسف: علم التاريخ فى الأندلس، ص 51.

(2) الزركلي: الأعلام، ج1 ص 128.

(3) وهو مؤلف عراقي له العديد من الكتب، مثل: كتاب المعارف، وعيون الأخبار، وطبقات الشعراء، وغيرها . ابن الخطيب: تاريخ بغداد، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، (1422هـ/2002م)، ج10 ص 170، ابن خلكان (ت681هـ): وفيات الأعيان، ج3 ص 42 – 43.

(4) ابن الفرضي (ت403هـ): تاريخ علماء الأندلس، ج2 ص 44، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام ج7 ص 465، ترجمة رقم (100).

(5) ابن الأبار (ت658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج4 ص 84، عبد الملك المراكشي (ت703هـ): الذيل والتكملة، ج4 ص 70، ترجمة رقم (168).

وبدى الاهتمام حول علم التاريخ عند علماء قبيلة لَخْم من خلال حفظه؛ حيث تجلى بقُرْطُبة عنايتهم "بحفظ الأخبار والأيام والمشاهد والتواريخ" خلال عصر الخلافة الأموية فيما ذكر عن محمد بن أبَان اللَخْمي القرطبي (... – 354هـ= ... – 965م)[1]، ولعل رصد ابن الفرضي لهذه الألفاظ ترجع إلى مكانة هذا العلم وقيمته، كما يتبين منها أن الأخبار غير الأيام غير المشاهد، والتَّواريخ، وربما يعني إلمامه بهذه العلوم جميعها.

وفي قُرْطُبة أيضًا اعتنى بحفظ الأخبار أحد القضاة اللَخْميين؛ القاضي عبد السّلام بن عبد الله اللَّخْميّ (... – 371هـ = ... – 981م)، وهو من أهْل قُرْطُبة، وكان حَسن الخط ضابِطًا[2]، ونعتقد أن حسن خطه وضبطه كانا من مستلزمات الحفظ، فليس حفظ العلم فيما يحفظ بالذاكرة فحسب وإنما يشمل أيضًا الحفظ بكتابته وتقييده.

وامتدت عنايتهم بالأخبار إلى عصر ملوك الطوائف بإِشْبِيلِيَة فنبغ فى حفظ الأخبار متفننًا فى ذلك أبي الأصبغ؛ عيسى بن محمد اللَخْمي (333 – 426هـ = 944 – 1034م)، ذكر ابن بشكوال أنه: "كان حافظًا للأخبار، فاضلا، متفننًا"[3]، وله تصنيف (عنوان الأخبار)[4]، بينما ذكر ابن بشكوال حفظه للأخبار دونما ذكر لكتابه هذا[5].

وفي ذات العصر بإِشْبِيلِيَة كان ذا حظٍّ صالح من الأخبار أبي القاسم؛ عباس بن يحيى بن قرلمان اللَخْمي (350 – 426هـ = 961 – 1034م)، ذكره ابن خزرج، ومن فضائله فى ذلك أن أخذ عنه أبو عمر بن عبد البر(ت463هـ)[6]، وهي منقبة جليلة.

---

(1) ابن الفرضي (ت403هـ): تاريخ علماء الأندلس، ج2 ص 69، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام ج8 ص 72، ترجمة رقم (134)، السيوطي (ت911هـ): بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، ج1 ص 7، ترجمة رقم (2).

(2) ابن الفرضي (ت403هـ): تاريخ علماء الأندلس، ج1 ص 331.

(3) ابن بشكوال (ت578هـ): الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس، ص 411.

(4) ذكره البغدادي، قائلا: "كَانَ حَافِظًا للأخبار، فصنف: عنوان الأخبار". هدية العارفين، ج1 ص 807.

(5) ابن بشكوال (ت578هـ): المصدر السابق، ص 411.

(6) نفس المصدر، ص 420.

تطورت عناية العلماء اللَخْميين بالعلوم الإنسانية فتجلت اهتماماتهم فى عصر ملوك الطوائف بالتصنيف فى التاريخ والأخبار، فصنف فى **"الأخبار"** بقُرْطُبة الأديب ابن زرقة أبي عبد الله، محمد بن إبراهيم اللَخْمي (368 – 435هـ = 978– 1043م)، وذلك فيما ذكره ابن الفرضى فى تَارِيخه، بقوله: له (تأليفان فى الآداب والأخبار)، وقال ابن خزرج: "قرأتهما عليه"[1]، كما ذكر ابن بشكوال أن: له تأليف فى "الأخبار"، وقال ابن خزرج: قرأته عليه أيضًا[2]، ونقل ذلك البغدادي[3]. دونما ذكر لأسماء المؤلفان.

وتميز عصر المرابطين بعناية أشهر وأجل العلماء اللَخْميين بالتأليف فى "الأخبار"؛ فصنف فيها ابن اللبانة؛ مُحَمَّد بن عِيسَى بن مُحَمَّد اللَخْمى (... – 507هـ = ... – 1113م)، له (الِاعْتِمَاد فى أخبار بنى عباد)[4]، وله أيضًا (مناقل الْفِتْنَة)[5].

وفي عصر المرابطين زاد على التقدم فى الأخبار، المعرفة بأيام الناس بإِشْبِيلِيَة عند أبي جعفر؛ أحمد بن محمد بن عبد العزيز اللَخْمي (... – 533هـ = ... – 1138م)، وهو من أهل إِشْبِيلِيَة، ذكر ابن بشكوال وغيره أنه: "كان من أهل التقدم فى الأخبار ومعرفة أيام الناس، سمع الناس منه، وكان أبي علي الجَيّاني يثني عليه ويقدمه، وأخذ عنه ابن بشكوال وجالسه قديمًا، وتوفي رحمه الله ليلة الجمعة، ودفن عشي يوم الجمعة لثمان بقين من ربيع الأول من سنة 533هـ، ودفن بمقبرة "أم سلمة"

(1) نفس المصدر، ص 498.

(2) نفس المصدر، ص 498.

(3) هدية العارفين، ج2 ص 69.

(4) لم يذكره ابن الأبار (ت658هـ) فى معرض ترجمته. التكملة لكتاب الصلة، ج1 ص 347، بينما ذكره حاجي خليفة خليفة (ت1067هـ): كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون، ج2 ص 1963، البغدادي (ت1399هـ): هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج2 ص 83، إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون، ج3 ص 89، كحالة (ت1408هـ): معجم المؤلفين، ج11 ص 108.

(5) ابن الأبار (ت658هـ): المصدر السابق، ج1 ص 347، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج 11 ص102، الكتبي: فوات الوفيات، ج4 ص 27، الصفدي (ت764هـ): الوافي بالوفيات، ج4 ص 209، البغدادي (ت1399هـ): هدية العارفين، ج2 ص 83، كحالة (1408هـ): معجم المؤلفين، ج11 ص 108.

بقُرْطُبة[1]، وقد نوهنا إلى موضع مدفنه هنا إشارة إلى وجوده بقُرْطُبة قبل وفاته رغم أنه -كما هو مذكور- من أهل إِشْبِيلِيَة، فهذا يؤكد أن علمه نشر على الناس وسمعوا منه فى كل من: إِشْبِيلِيَة وقُرْطُبة.

واشتهر عصر الموحدين بنبوغ جماعة من المؤلفين اللَخْميين الذين تجلت عنايتهم بالتاريخ والسير فلمعت المَرَيّة بأجلهم هو الرشاطي؛ أبي محمد، عبد الله بن علي اللَخْمي (466–540هـ=1073–1145م)، له كتاب: (عُيُون الأخبار)، فى التَّارِيخ[2].

كما صنف فى "سير الصالحين بالأندلس"؛ مُحَمَّد بن عَبْد اللَّه بن إِبْرَاهِيم بن قَسُّوم اللَخْمي (... - 639هـ= ... - 1241م)، له كتاب (مجالس الأبْرَار فى معاملةِ الجَبَّار)، يشتملُ عَلَى أخبار صُلَحاء إِشْبِيلِيَة[3].

ولما اهتم الأندلسيون -كالمشارقة- عامة بالتأليف فى **"السيرة النبوية"**؛ نجد أنهم أكثروا من الكتابة حول المعجزات النبوية[4]، وجاء الاهتمام بشكل خاص عند أحد علماء قبيلة لَخْم فى العناية بالمعجزات النبوية؛ فصنف فيها محمد بن أحمد بن عيسى اللَخْمي الإشبيلي (...-654هـ= ... - 1256م)، له كتاب (الدرر البهية فى معجزات خير البريه)[5]؛ ولعله الوحيد من علماء قبيلة لَخْم

(1) القاضي عياض (ت544هـ): الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، ص 108، ابن بشكوال (ت578هـ): الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس، ص 82، وترجم له الضبي (ت599هـ)، ولم يشر إليه سوى كونه فقيه فاضل محدث. بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 167، ترجمة رقم (363)، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام ج11 ص 587، ترجمة رقم (128)، وترجم له المقري (1041هـ)، دونما الإشارة إلى ذلك كله. أزهار الرياض، ج3 ص 157.

(2) البغدادي (ت1399هـ): هدية العارفين، ج1 ص 456.

(3) الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام ج14 ص 300، ترجمة رقم (611)، وأغفل ذكره عبد الملك المراكشي (ت703هـ) فى معرض ترجمته. الذيل والتكملة، ج6 ص 243، ترجمة رقم (705). وجاء ذكره عند ابن الأبار بعنوان "محاسن الأبْرَار فى معاملةِ الجَبَّار". ابن الأبار (ت658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج2 ص 144.

(4) محمود علي مكي: السيرة النبوية فى التراث الأندلسي، ص 108.

(5) مخطوط محفوظ بخزانه القرويين بفاس، المغرب، رقم الحفظ: رقم التسلسل: (295). مركز الملك فيصل: خزانة التراث - فهرس مخطوطات، ج84 ص 468، (الرقم التسلسلي: 85695)، الفن: سيره.

الذي تجلت عنايته بالسيرة النبوية العطرة لِما تعده من غذاء للقلوب، وبهجة للنفوس، وسعادة ولذة وقرة عين، بل إنها جزء من دين الله سبحانه وتعالى وعبادة يتقرب بها إلى الله؛ لأن حياة نبينا الكريم – صلوات الله وسلامه عليه – حياة بذل وعطاء وصبر ومصابرة وجد واجتهاد ودأب فى تحقيق العبودية لله تبارك وتعالى والدعوة إلى دينه عز وجل، وفي دراسة السيرة فوائد عظيمة جدًا ومنافع متعددة ذكر ولو شيء منها يعد شحذًا للهمم، للصبر والمواصلة والعناية بدراسة سيرة نبينا صلوات الله وسلامه وبركاته عليه. ولو نظرت فى الدوافع التي حفزت المؤلفين الأندلسيين عموما على الكتابة فى السيرة لوجدنا ما قصد من التعبير عن محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

واستمر التأليف للعلماء اللَخْميين فى التاريخ والآثار حتى صدر القرن الثامن الهجري، فيما يتجلى عن أبي بكر المعروف بابن الحكيم الأندلسي، محمد بن محمد اللَخْمي (660 – 708هـ = 1262 – 1309 م)، له كتبًا طيبة فى هذا الصدد منها: (الأخبار المذهبة)، وله (الْآثَار الصُّوفِيَّة)[2]، وصنف (تكملة التَّارِيخ الْمُسَمّى بميزان الْعَمَل لِابن رَشِيق)[3]، (الْفَوَائِد المنتخبة والموارد المستعذبة)[4]، (النكت الأدبية)[5].

2- التراجم والطبقات:-

يلاحظ دارس الحركة التاريخية عظم اهتمام الأندلسيين بتصنيف معاجم الأعلام وفهارس الكتب واتساع نشاط هذا اللون من الدراسات التاريخية والحضارَيّة، وما من شك أن هذا يعود إلى المستوى الرفيع الذي بلغه الأندلسيون فى العلوم الإنسانية. وقد تجلى ذلك عند علماء قبيلة لَخْم؛ فصنف علماء قبيلة لَخْم فى سير علماء الأندلس كالذي قام به أبي مُحَمَّد، عبد الله بن إِسْمَاعِيل بن مُحَمَّد

(1) محمد رضوان الداية (كلية الآداب- جامعة دمشق): السيرة النبوية فى التراث الأندلسي، (مجلة التراث العربي، سوريا، العدد رقم1، 1 يناير، 1979م)، ص 73.

(2) البغدادي (ت1399هـ): هدية العارفين، ج2 ص 157.

(3) البغدادي (ت1399هـ): المرجع السابق، ج2 ص 157، إيضاح المكنون، ج4 ص 612.

(4) البغدادي (ت1399هـ): إيضاح المكنون، ج4 ص 211.

(5) البغدادي (ت1399هـ): هدية العارفين، ج2 ص 157.

بن خزرج اللَخْميّ (407هـ - 478هـ= 1016-1085م)، له كتاب (طَبَقَات النَّحْوِيين واللغويين)؛ منتقى من كتاب أبي سعيد السيرافي وَأبي بكر الزبيدِيّ جَمِيعًا[1]، وذكر الذهبي أن له كتاب "التاريخ"[2]، ويحتمل أنه قصد مصنفه المذكور.

كما يلفت نظر الدارس للتاريخ الأندلسي مدى اهتمام الأندلسيين عامة واللَخْميين خاصة بتراجم أعلام وأعيان وطنهم أيضًا، وقد صنف فى "**الوفيات**" أَبي عَمْرو مُحَمَّد بن عَيْشون بن عُمَر بن صَبَّاح اللَخْميّ الأندلسي البَكّيّ[3] (538 – 614هـ = 1143 – 1217م)، وله (تقييد فى الوفيات)، قال ابن الأبار: "له تقييد مفيد فى الوفيات"، اعتمدت عليه فى كتابه "التكملة" وحدثه به عنه ابنه أبو عمر عيشون بن محمد[4].

وفي "**التراجم ورجال أهل الأندلس**" صنف الحريري، عبد الله بن قاسم بن عبد الله بن محمد بن خلف اللَخْمي (591 – 646هـ = 1194 – 1248م)[5]، له كتاب (المنهج الرضي فى الجمع الجمع بين كتابي ابن بشكوال وابن الفرضي)[6]، وهو فى في تراجم أهل الأندلس[7]. وله فى "الأنساب"، (حديقة الأنوار فى تذييل اقتباس الأنوار والتماس الأزهار للرشاطي)، وهو فى الأنساب[8]، جعله ذيلا لاقتباس الأنوار للرشاطي[9].

---

(1) ابن خير الإشبيلي (ت575هـ): فهرسته، ص 313.

(2) الذهبي (ت748هـ): سير أعلام النبلاء، ج18 ص 489.

(3) نسبة إلى بكَّة: من عمل مُرسية. الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج13 ص 422.

(4) ابن الأبار (ت658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج2 ص 111، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج13 ص 422، ترجمة رقم (249).

(5) ابن الأبار (ت658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج2 ص 297، ابن الزبير (ت708هـ): صلة الصلة، ص 104، ترجمة رقم (233).

(6) ابن الأبار (ت658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج2 ص 194.

(7) الزركلي (ت1396هـ): الأعلام، ج4 ص 114.

(8) ابن الأبار (ت658هـ): المصدر السابق، ج2 ص 194.

(9) الزركلي (ت1396هـ): الأعلام، ج4 ص 114.

3- الأنساب:-

علم الأنساب من العلوم الجليلة الشأن التي اهتم بحفظها علماء قبيلة لَخْم؛ بداية من عصر الخلافة الأموية بالأندلس؛ حيث كانت أولى عنايتهم بحفظها بقُرْطُبة؛ فاعتنى بحفظها محمد بن أبَان اللَخْمي القرطبي (... – 354هـ = ... – 965م)[1].

كما لاقت دراسة **"الأنساب"** العناية والاهتمام لدى علماء قبيلة لَخْم بالأندلس؛ فصنف فى "الأنساب" أحد علماء قُرْطُبة اللَخْميين؛ عبد السّلام بن عبد الله اللّلَخْميّ (... – 371هـ= ... – 981م)؛ كان عالِمًا بالأنساب، ولهُ "جمع فى النَسَب"[2]، وهذا الجمع ذكره ابن الفرضي، دونما أن نقف عليه، ومن صياغته ينبأ عن جمع عبد السلام المذكور لأنساب العرب بالأندلس وأصولها.

ولمعت مملكة المَرَيّة بنبوغ أحد اللَخْميين فى حفاظ التاريخ والأنساب خلال عصر ملوك الطوائف الرشاطي؛ أبو محمد، عبد الله بن علي اللَخْمي (466 – 540هـ = 1073 – 1145م)، وهو من أهل المَرَيّة، قال عنه ابن الزبير فى "صلة الصلة": "النسابة .. حافظًا للتاريخ والأنساب، بارعًا، أحد المتقدمين المشار إليهم بالتقدم فى الضبط والتقييد، روى عنه الجلة من الشيوخ.."[3].

وقد صنف الرشاطي فى **"الأنساب"**، كتابًا بعنوان: (اقتباس الأنوار وَالْتِمَاس الأزهار فى أنساب الصَّحَابَة ورواة الْآثَار)[4]، أخذه الناس عنه، وجاء فى "فِي سِتَّة أسفار"[1]، "وهو من الكتب

(1) ابن الفرضي (ت403هـ): تاريخ علماء الأندلس، ج2 ص 69، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام ج8 ص 72، 72، ترجمة رقم (134)، وترجم له السيوطي، دونما ذكر لحفظه للأنساب. بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، ج1 ص 7، ترجمة رقم (2).

(2) ابن الفرضي (ت403هـ): تاريخ علماء الأندلس، ج1 ص 331.

(3) ابن الزبير (ت708هـ): صلة الصلة، ص 74-75، رقم (157).

(4) ابن ماكولا (ت475هـ): الإكمال فى رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف فى الأسماء والكنى والأنساب، ج1 ص ص 11، ابن بشكوال (ت578هـ): الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس، ص 285، الضبي (ت599هـ): بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 349، ابن الأبار (ت658هـ): معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، ص 218، ابن خلكان (ت681هـ): وفيات الأعيان، ج3 ص 106، ابن الزبير (ت708هـ): صلة الصلة، ص 74-75، رقم (157)، الصفدي (ت764هـ): الوافي بالوفيات، ج17 ص 175، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام،ج11 ص

القديمة فى الأنساب، لخصه مجد الدين إسماعيل بن إبراهيم البلبيسي (ت 802هـ)، وأضاف إليه زيادات ابن الأثير، على أنساب السمعاني، وسماه: القبس، أوله: الحمد لله الذي خلق صنف البشر ... الخ"[2]. وأثنى على هذا الكتاب جماعة منهم ابن الأبار: " وَكِتَابِهِ الْمُتَرْجَمِ بِاقْتِبَاسِ الأَنْوَارِ وَالْتِمَاسِ الأَزْهَارِ فى أسماء الصَّحَابَةِ وَرُوَاةِ الآثَارِ؛ لَمْ يُسْبَقْ إِلَى مِثْلِهِ وَاسْتَعْمَلَهُ النَّاسُ"[3]. وهذا الكتاب تناوله غير واحد، وذكروا أنه "مَا قصر فِيهِ، وَهُوَ على أسلوب كتاب السَّمْعَانِيّ"[4]. وقال ابن بشكوال: "كتابٌ حسنٌ"[5]. "وهو كتاب غريب كثير الفوائد جامع"[6].

كما تجلت عناية اللَخْميين بكتب الأنساب بإِشْبِيلِيَة –عصر المرابطين- فحدث بكتاب (النّسَب لأبي عبيد الْقَاسِم بن سَلام) الشَّيْخ الْوَزير الْكَاتِب أَبُو بكر؛ مُحَمَّد بن عبد الْملك بن عبد الْعَزِيز اللَخْميّ (...–536هـ=...–1141م) عَن أبي عَليّ الغساني قِرَاءَة مِنْهُ عَلَيْهِ عَن أَبى مَرْوَان عبد الْملك بن سراج[7].

وفي عصر الموحدين انتلقت اهتمامات العلماء اللَخْميين بالتصنيف فى هذا الفن نحو نسخ كتب "الأنساب" فيما عرف عن أَبُو عبد الله، مُحَمَّد بن أَحْمَد بن هِشَام بن إبراهيم اللَخْمى (... –

807، سير أعلام النبلاء، ج15 ص 75، حاجي خليفة (ت1067هـ): كشف الظنون، ج1 ص 81.، البغدادي (ت1399هـ): هدية العارفين، ج1 ص 456.

(1) البغدادي (ت1399هـ): هدية العارفين، ج1 ص 456.

(2) حاجي خليفة (ت1067هـ): كشف الظنون، ج1 ص 81.

(3) ابن الأبار (ت658هـ): معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، ص 218، ابن خلكان (ت681هـ): وفيات الأعيان، ج3 ص 106، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج11 ص 807، سير أعلام النبلاء، ج15 ص 75، المقري (ت1041هـ): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج4 ص 462.

(4) ابن خلكان (ت681هـ): وفيات الأعيان، ج3 ص 106، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام،ج11 ص 807 ، سير أعلام النبلاء، ج15 ص 75، الصفدي (ت764هـ): الوافي بالوفيات، ج17 ص 175.

(5) ابن بشكوال (ت578هـ): المصدر السابق، ص 285.

(6) الضبي (ت599هـ): بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 349.

(7) ابن خير الإشبيلي (ت575هـ): فهرسته، ص 206.

577هـ = ... - 1181 م)، بإنه نسخ كتاب (الإيناس فى علم الأنساب- تأليف الحسين بن علي بن الحسين الوزير المغربي "ت418/370هـ")، وخطه نسخي متقن يميل إلى القاعدة الأندلسية، مضبوط بالشكل الكامل الصحيح[1].

4- علم التعبير (الرؤى):-

وعرف فى قبيلة لَخْم من كان متقدمًا فى علم التعبير هو ابن الوكاب؛ أبي محمد الملاح، موسى بن محمد اللَخْمي (371 – 430هـ= 981 – 1038م)، وهو من أهل إِشْبِيلِيَة[2].

ولم يصنف فى ذلك العلم سوى أبي بكر ابن الحكيم الأندلسي، محمد ابن محمد اللَخْمي (660 - 708هـ = 1262 - 1309 م)، له (بِشَارَة الْقُلُوب بِمَا تخبر بِهِ الرُّؤْيَا من الغيوب)[3].

ونلاحظ هنا أن التصنيف فى هذا العلم جاء متأخرًا، وهنالك فترة زمنية كبيرة بين المتقدم فى هذا العلم وبين المؤلف فيه كما هو واضح. ويبدو أن هذا العلم بإلإضافة لغيره من العلوم لم تلق نفس العناية التي ظهرت من علماء قبيلة لَخْم تجاه العلوم الدينية.

وخلاصة القول فيما لاحظناه من خلال تتبع جهود علماء قبيلة لَخْم فى العلوم الإنسانية؛ سعة النشاط التأليفي وامتداده إلى فروع مختلفة وجوانب متعددة تتعلق بتاريخ هذا القطر وشخصياته اللامعة، وإن كان هذا الدور لم يكن على نفس مستوى العلوم الأخرى وخاصة العلوم الدينية.

---

(1) عبد العزيز الساوري: ابن هشام اللخمي الأندلسي ناسخ كتاب الإيناس فى علم الأنساب، (مجلة آفاق الثقافة والتراث، الإمارات، العدد رقم 18، 1 أغسطس 1997م)، ص 90.

(2) ابن بشكوال (ت578هـ): الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس، ص 575.

(3) البغدادي (ت1399هـ): هدية العارفين، ج2 ص 157.

ثانيًا: العلوم التطبيقية (أو التجريبية):-

تجلت جهود العلماء اللَخْميين فى جانب العلوم التطبيقية (أو التجريبية) بالأندلس فى ثلاثة جوانب، هي: علم الطب، وعلم الفلاحة (الزراعة)، وعلم الفلك، وتذكر المصادر لعلماء قبيلة لَخْم إسهامات جليلة وطيبة فى هذه الحقول[1]؛ دراسة و تأليفًا، ولكن رغم جوهر هذه الجهود وعمق عنايتهم بها إلا أنها شملت عددًا قليلا منهم.

1- علم الطب:-

أسدى اللَخْميون للإنسانية فى علم الطب جهود موفقة وإنجازات علمية طيبة وقيمة، وكانت البدايات الأولى لطلب علم الطب ونبوغهم فيه فى عصر ملوك الطوائف الذي "ازدادت العناية فيه بدراسة الطب والصيدلة، وحقق فيه الأندلسيون آنذاك نتائج علمية رائعة بما ألفوه من روائع التآليف[2] فى الطب والصيدلة التي ضمنوها جهودهم وأعمالهم"[3]؛ فيما قدمه أبي المطرف، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير بن يحيى بن وافد بن مهند اللَخْمي (389 – 467هـ = 998م – 1074م)، كان "أحد أشراف أهل الأندلس، وأبرع أطباء هذه الفترة وأعظمهم تمكنًا فى الصيدلة، فكان الطبيب والصيدلي المشهور والوزير المعروف، وكانت نشأته نشأة علمية ناجحة، فقد اتجه منذ بداية حياته العلمية إلى دراسة علوم الأوائل وخاصة الطب والصيدلة"[4].

---

(1) انظر: (الملاحق): (ملحق رقم 12، جدول رقم 9): يوضح العلماء اللخميين المشتغلين بالعلوم التطبيقية بالأندلس.

(2) انظر: (الملاحق): (ملحق رقم 14، كشاف رقم 3): المؤلفات العلمية لعلماء قبيلة لخم بالأندلس، مؤلفات العلماء اللخميين فى العلوم التطبيقية (الطب والنبات والفلك).

(3) سعد عبد الله البشري: الحياة العلمية فى عصر ملوك الطوائف فى الأندلس، ص 553.

(4) القفطي (ت646هـ): أخبار العلماء بأخيار الحكماء، ص 174، ابن أبي أصيبعة (ت668هـ): عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ص 491.

كان ابن وافد اللَخْمي "من كبار العالمين بالطِّب، لا سيما بالأدوية المفردة، فإنه لم يُدرِك شَأْوَه فيها أحدٌ"[1]، وهو من أهل طُلَيْطُلَة، رحل إلى قُرْطُبة فلقي بها أبا القاسم خلف بن عباس الزهراوي –الذي ينسب إليه وضع أسس الجراحة الطبية الحديثة كما يعتبره البعض أكبر أطباء الإسلام وأولهم فى الجراحة الطبية[2]– فأخذ عنه (علم الطب) وكان مع تقدمه فى ذلك فقيهًا عالمًا متفننًا، له فى دولة ابن ذي النون ذِكرًا[3].

وقد بلغ من اهتمام ابن وافد وحرصه على الدراسة العميقة الجادة لأنواع النباتات والأعشاب الطبية أن استأذن ملك طُلَيْطُلَة المأمون فى إنشاء حديقة نباتية تشتمل على أنواع من النباتات وذلك لكي تسنى له دراستها عن كثب وليسهل عليه اجراء التجارب الصيدلية على أنواعها ومعرفة خصائصها ومعطياتها الطبية والعلاجية[4].

ويذكر المقري أن ابن وافد كان آية الله تعالى فى معرفة الطب والعلم بالأدوية وخصائص النباتات[5]، وبلغ من منزلة ابن وافد العلمية ونبوغه أن اعترف له علماء عصره بالأمانة فى ذلك وصحة النظر وجودة القريحة ونفاسة الانتاج فى ميداني الطب والصيدلة[6].

---

(1) الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج10 ص 251، ترجمة رقم (214).

(2) سعد عبد الله البشري: الحياة العلمية فى عصر ملوك الطوائف فى الأندلس، ص 556.

(3) ابن جُلجل (ت377هـ): طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيّد، مؤسسة الرسالة بيروت، ط2، (1425هـ/1985م)، ص 22، 95، ابن صاعد (ت462هـ): طبقات الأمم، حققه وشرحه وذيلهُ بالفهارس: المستشرق لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكيه بيروت، ط1، (1330هـ/1912م)، ص 94، ابن الأبار (ت658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج3 ص 13، القفطي= =(ت646هـ): أخبار العلماء بأخيار الحكماء، ص 174، ابن أبي أصيبعة (ت668هـ): طبقات الأطباء، ص 491، 496، ابن الزبير (ت708هـ): صلة الصلة، ص 124، رقم (284)، الزركلي (ت1396هـ): الأعلام، ج4 ص 102.

(4) حكمت الأوسي: كتاب الوساد لابن وافد الطليطلي، (مقال بمجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، العدد رقم 13، ص 175).

(5) المقري (ت1041هـ): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج3 ص 377.

(6) القاضي عياض (ت544هـ): ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج4 ص 671.

وقد عرف ابن وافد لدى الأوربيين بابن ويفيت (Eben Cuefith) وكان لشهرته العلمية ومكانته الاجتماعية قد تولى الوزارة فى دولة المأمون ملك طُلَيْطُلَة، ولم تكن شهرته وقفًا على معرفته الواسعة بالطب عامة بل كان بارعًا أيضًا فى طب العيون أو ما يسمى بالكحالة عند العرب، وفي هذا الحقل صنف كتابه "**تدقيق النّظر فى علل حاسة الْبَصَر**"(1).

وكان لابن وافد طرائق ومناهج ابتدعها فى العلاج الطبي وشفاء المرضي، فقد كان معتنيًا بالعلاج عن طريق التغذية، كثير التركيز على هذا الجانب ويقدمه على جانب المعالجة الدوائية، فإن اضطر إلى العلاج بالأدوية قصد إلى المفرد منها دون المركب الذي يحوى فى تركيبه عدة نباتات أو صفات مختلفة، فإن رأى أن لا مناص من التركيب عمد إلى اخفه وأيسره تركيبًا(2).

ومن أهم مؤلفات ابن وافد فى علم الطب: كتاب "**الأدوية المفردة**"(3)، وقد استعمله الناس(4)، وذكر صديقه المؤرخ صاعد بن أحمد الطليطلي: أخبرني عنه أنه "عانى جمعه وحاول ترتيبه وَتَصْحِيح مَا ضمنه من أَسمَاء الْأَدْوِيَة وصفاتها وأودعه إِيَّاه من تَفْصِيل قواها وتحديد درجاتها نَحوًا من عشْرين سنة حَتَّى كمل مُوَافقا لغرضه وَتمّ مطابقًا لبغيته"(5). وقد أثنى الذهبي علم ابن وافد

(1) ابن أبي أصيبعة (ت668هـ): عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ص 496، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج10 ص 251، البغدادي (ت1399هـ): هدية العارفين، ج1 ص 517، فرات فائق خطاب: الكحالة عند العرب، وزارة الإعلام، بغداد، (1394هـ/1975م)، ص 29 – 30، آنخل بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 467.

(2) ابن صاعد (ت462هـ): طبقات الأمم، ص 110–111، القفطي (ت646هـ): أخبار العلماء بأخيار الحكماء، ص 152، ابن أبي أصيبعة (ت668هـ): المصدر السابق، ص 496، باقر أمين الورد: معجم علماء العرب، ج1 ص 73 – 74.

(3) ابن الأبار (ت658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج3 ص 13، ابن أبي أصيبعة (ت668هـ): عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ص 496، ابن الزبير (ت708هـ): صلة الصلة، ص 124، ترجمة رقم (284)، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج10 ص 251.

(4) ابن الأبار (ت658هـ): المصدر السابق، ج3 ص 13، البغدادي (ت1399هـ): هدية العارفين، ج1 ص 517.

(5) ابن صاعد: طبقات الأمم، ص 110–111، ابن أبي أصيبعة (ت668هـ): عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ص 491.

بالطب، وجمعه لكتابه هذا، فيقول: "من كبار العالمين بالطِّب، لا سيما بالأدوية المفردة، فإنه لم يُدرِك شَأْوَه فيها أحدٌ. وألّف كتابًا حافلاً جمع فيه بين قول ديسقوريدس، وقول جالينوس، وَلَهُ يَدٌ طُولَى فى الْمُعَالَجَة"[1].

ويذكر ابن أبي أصيبعة عناية ابن وافد بكتب الأدوية المفردة التي جمع منها كتابه، قائلا: "عَنى عناية بَالِغَة بِقِرَاءَة كتب جالينوس وتفهمها ومطالعة كتب أرسطوطاليس وَغَيره من الفلاسفة قَالَ القَاضِي صاعد وتمهر بِعلم الْأَدْوِيَة المفردة حَتَّى ضبط مِنْهَا مَا لم يضبطه أحد فى عصره وَألف فِيهَا كتابا جَلِيلًا لَا نَظِير لَهُ جمع فِيهِ مَا تضمن كتاب ديسقوريدس وَكتاب جالينوس المؤلفان فى الْأَدْوِيَة المفردة ورتبه أحسن تَرْتِيب -وقَالَ- وَأَخْبرنِي أَنه عانى جمعه وحاول ترتيبه وَتَصْحِيح مَا ضمنه من أَسمَاء الْأَدْوِيَة وصفاتها وأودعه إِيَّاه من تَفْصِيل قواها وتحديد درجاتها نَحوا من عشْرين سنة حَتَّى كمل مُوَافقا لغرضه وَتمّ مطابقًا لبغيته"[2].

ويشير القفطي وابن أبي أصيبعة إلى مدى تفوق ابن وفاد فى العلم بالأدوية، فيقول: "وتمهر بعلم الأدوية المفردة حَتَّى فهم مَا تضمنه كتاب ديوسقوريدس وكتاب جالينوس المؤلفين فى الأدوية المفردة ورتبه أحست ترتيب وهو مشتمل عَلَى قريب من خمسمائة ورقة وَلَهُ فى الطب منزع لطيف ومذهب ظريف وذلك أنه لا يرى التداوي بالأدوية مَا أمكن التداوي بالأغذية أَوْ مَا كَانَ منها قريباً فإذا دعت الضرورة إِلَى الأدوية فلا يرى التداوي بمركبها مَا وصل إِلَى الشفاء بمفردها فإن اضطر إِلَى المركب منها لَمْ يكثر التركيب بل اقتصر عَلَى مَا يمكنه منه وَلَهُ نوادر محفوظة وغرائب مشهورة فى الإبراء من العلل الصعبة بأيسر علاج وأقربه[3].

(1) الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج10 ص 251.

(2) ابن أبي أصيبعة (ت668هـ): عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ص 496.

(3) القفطي (ت646هـ): أخبار العلماء بأخيار الحكماء، ص 174، ابن أبي أصيبعة (ت668هـ): المصدر السابق، ص 496.

ويكفي الدارس لمعرفة أهمية ما تضمنه ذلك الكتاب من علوم ومعارف طبية وصيدلية تلك المدة الزمنية التي قضاها ابن وافد فى تأليف كتابه وهي عشرين سنة، وما من شك أن كتابه تضمن الكثير من تجاربه والعديد من خبراته ومشاهداته فى ميدان العلاج الطبي وأنواع الأدوية المفردة. جدير بالذكر أن كتاب ابن وافد فى الأدوية المفردة لقى قبولا عظيمًا من الأطباء آنذاك ومن أتى بعدهم أيضًا، وقد اعتمد عليه الأوروبيون فى معرفة الكثير من علوم الصيدلة وأنواع الأدوية فترجم إلى اللاتينية والعبرَيّة والقطلانية[1].

ومن مؤلفاته فى الطب أيضًا: (أرجوزة فى الطب)[2]، و(كتاب المجربات)، فى الطِّبّ[3]، (كتاب المغيث)[4]، (كتاب الوساد)[5]، ومما ينسب إليه من الكتب غير ما ذُكر، كتاب: "المجموع فى الفلاحة"[6].

وفيما يتصل بكتابه (الوساد)، وقد اطلع أحد الباحثين[7] وأعطى تفصيلات مهمة على مخطوط هذا الكتاب ومحتواه[1]، فيقول: وهو يبدأ بعرض الأدهان والأشربة المفيدة فى تجميل وعلاج

(1) حكمت الأوسي: الوساد لابن وافد، ص 176، علي الدفاع: إسهام علماء العرب والمسلمين فى علم النبات، ص 179، 180. سعد عبد الله البشري: الحياة العلمية فى عصر ملوك الطوائف فى الأندلس، ص 561.

(2) مخطوط محفوظ بدار الكتب الوطنية بتونس، رقم (156). مركز الملك فيصل: خزانة التراث، فهرس المخطوطات، ج92 ص 608، رقم المسلسل (93889)، ج3 ص 595.

(3) لم يرد ذكر له عند ابن الأبار (ت658هـ) فى معرض ترجمته. التكملة لكتاب الصلة، ج3 ص 13، وذكره ابن أبي أصيبعة (ت668هـ): عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ص 496، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج10 ص 251، هدية العارفين، ج1 ص 517.

(4) ابن أبي أصيبعة (ت668هـ): عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ص 496، البغدادي (ت1399هـ): هدية العارفين، ج1 ص 517.

(5) ابن الأبار (ت658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج3 ص 13، الذهبي (ت748هـ): المصدر السابق، ج10 ص 251، البغدادي (ت1399هـ): هدية العارفين، ج1 ص 517.

(6) حكمت الأوسي: الوساد لابن وافد، ص 176.

(7) سعد عبد الله البشري: الحياة العلمية فى عصر ملوك الطوائف فى الأندلس، ص 561، وما بعدها.

وعلاج الأسنان، ويسف عند حديثه عن الشعر دواء لتسويده وغيره لتقويته وعلاج ما يتساقط منه[2]، ثم يتعرض للدماغ والأدوية المقوية له والشافية لأوجاعه[3].

ومما يلاحظ فى عرضه للأدوية أنه لا يكتفي بوصفه واحدة لوجع ما فى أكثر الأحيان بل إن تمكنه فى صناعة الطب ومعرفته الواسعة بالأدوية وخصائصها العلاجية دفعه إلى عرض أكثر من علاج ووصفة طبية لحالة من الحلالات المرضية. وقد يكون لهذه الطريقة مغزى اجتماعي وهو أن أوضاع الناس الاجتماعية والاقتصادية فى عهده تمنع الكثير من شراء بعض الوصفات الطبية الغالية، فكان الاقبال على تلك الوصفات الطبية السهلة التركيب الرخيصة الثمن التي تسمح لذوي العوز والفاقة من الحصول عليها بأقل كلفة وأيسر ثمن.

وابن وفاد يصف أدوية وعلاجات موسمية يصلح البعض منها فى الصيف فى حين أن البعض الآخر، لا يفيد إلا شتاءًا مثل قوله: "بخور نافع بإذن الله يستعمل فى الصيف"، وكقوله فى موضع آخر: "دواء لتقوية عصب الدماغ وشرط استعماله فى الشتاء"[4].

ويتطرق ابن وفاد فى كتابه الوساد إلى العين وما يعتريها من الضعف وما يلحقها من الأوصاب والأوجاع. ويصف لكل حالة مرضية دواء أو كحلا، وجدير بالكر أن كتاباته الطبية والعلاجية من العين تنم عن مهارته فى هذا الفرع الطبي، وهو "طب العيون" أو ما يعرف عند العرب بـ "الكحالة"، ومما يلاحظ عند وصفه لعلاج أمراض العين كثرة اعتماده على ماء الورد كوصفة طبية،

---

(1) مخطوط هذا الكتاب بمكتبة الاسكوريال تحت رقم (833)، فى مجموع يضم المخطوط المذكور ضمن مخطوطات أخرى. سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 561، وما بعدها.

(2) ابن وافد: الوساد، (مخطوط)، ورقة: 2 ب. سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 561.

(3) ابن وافد: الوساد، (مخطوط)، ورقة: 4 ب. سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 562.

(4) ابن وافد: الوساد، (مخطوط)، ورقة: 7 أ. سعد عبد الله البشري: الحياة العلمية فى عصر ملوك الطوائف فى الأندلس، ص 562.

فهو يقول مثلا: "وصفة لمن يجد وجعًا فى عينيه وصدغيه، يقصد الشريانات ثم يكمد موضع الوجع بشيء من ماء الورد"، وفي موضع آخر: "ثم يقطر فى العين ماء ورد بارد إن شاء الله"[1].

ويستمر ابن وافد فى عرض أوجاع العين وآلامها مع وصفه لضروب الأدوية والعلاجات والضمادات النافعة فى أسلوب علمي رصين يعتمد على ألوان مختلفة من النباتات والأعشاب والأزهار مع مراعاة التناسب الكمي فى تركيبها، وكثيرًا ما يختتم حديثه عن وصفة ما بقوله: "نافع إن شاء الله تعالى، أو بإذن الله تعالى".

ويأخذ ابن وافد فى عرض طرائق العلاج لكل من علل وأوجاع الأذن والفم واللثة والأسنان والحلق عامة ثم القلب، ثم يعرض لبعض الأمراض النفسية والعصبية كالوحشة والاكتئاب والهم والفزع والقلق[2].

وابن وافد فى كتابه يتطرق إلى معالجة أمراض وأوجاع المعدة والكبد والطحال والاحشاء والأجهزة الباطنية بشكل عام، ثم يصف بعد ذلك طرق معالجة الكلى والمثانة وكيفية علاج سلس البول وتفتيت الحصاة، ويقول عن ذلك: "صفة دواء للحصاة، تأخذ من زهر الزيتون مثال، ومن زهر الشبث، مثل ذلك ويعجن بالسمن ويشرب إن شاء الله تعالى". ثم ينتقل بعده إلى علاج ما يعتور المقعدة من أوجاع كالبواسير فيصف لها ضروب العلاج حسب كل حالة مرضية.

ثم يلي ذلك حديثه عن الأمراض التناسلية لدى الرجل والمرأة، ويتكلم عن الأمراض الجلدية فى صورة تنم عن براعته وسعة أفقه فى الجمع بين الحديث عن الأمراض التناسلية والجلدية كأساس لاقتراب هذين الفرعين من الطب فى تخصص واحد كما هو حاصل فى عصرنا الحاضر،

(1) ابن وافد: الوساد، (مخطوط)، ورقة: 15 أ. سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 562.

(2) ابن وافد: الوساد، (مخطوط)، ورقة: 35 أ. سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 563.

ويختم ابن وافد كتابه بالحديث عن كيفية عمل الأشربة والمربيات من السفرجل والتفاح والجوز، وأنواع اللبوب والبزور "[1].

وعلى أية حال فإن ما أشرنا إليه من ذلك الكتاب القيم ما يدل على مكانة ابن وافد الطبية وسعة علمه فى الصيدلة والدراية بالأدوية وخصائصها، وبناء عليه بإن ابن وافد يعتبر بحق ألمع اسم ظهر فى علوم الطب والصيدلة فى (القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي). وهو أمر أكده كثير من العلماء والأطباء سواء فى عصره أو ما تلاه أو فى عصرنا الحاضر، ولعل ما حداهم إلى ذلك ما خلفه من انتاج طبي وصيدلي قيم لا يزال بعضه شاهدًا على ما قيل من ثناء واطراء كبيرين.

ومن أشهر تلاميذ ابن وفاد علي بن عبد الرحمن الخزرجي الطليطلي (ت499هـ/1105م)، وقد استقر به المقام بعد خروجه من طُلَيْطُلَة فى مدينة قُرْطُبة، وكان ماهرًا فى الطب وأساليب المعاجلة، وله تجارب وخبرات نافعة اكتسبها عن استاذه ابن وافد ذاع بها صيته فى الطب[2].

وهنالك من ألف عن أدوية ابن وافد، من أولئك ابن باجة، فله كتاب (التجربتين على أدوية ابن وافد اللَخْمي)[3]، وبعد هذا فلا عجب أن يوصف ابن وافد بإنه مؤسس علم الصيدلة الحديث[4]، وأنه من كبار العالمين بالطِّب، لا سيما بالأدوية المفردة، فإنه لم يُدرِك شَأْوَه فيها أحدٌ[5].

وكان هنالك من العلماء اللَخْميين الذين لهم فى علم الطب حظ ونصيب غير ابن وافد، تلوه بمشاركتهم فى علم الطب؛ فحصل **الأول** على جملة من علم الطب بإِشْبِيلِيَة –عصر المرابطين– وهو سليل بني عباد اللَخْميين بإِشْبِيلِيَة، أبو محمد؛ عبد الوهاب بن المعتمد محمد بن عباد بن محمد بن

(1) ابن وافد: الوساد، (مخطوط)، ورقة: 81 أ. سعد عبد الله البشري: الحياة العلمية فى عصر ملوك الطوائف فى الأندلس، ص 563.

(2) المراكشي: الذيل والتكملة، ج1 ص 250-252.

(3) فايزة عبد الله الحسّاني: تاريخ مدينة سرقسطة منذ عصر الخلافة الأموية حتى سقوطها، ص 243.

(4) باقر أمين الورد: معجم علماء العرب، تحقيق: كوركيس عواد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط1، (1406هـ/1986م)، ج1 ص 73.

(5) الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج10 ص 251، ترجمة رقم (214).

إسماعيل بن عباد اللَخْمي (... – بعد 520هـ = ... – 1126م)، أخذها عن أبي الحسن شهاب بن محمد المعيطي- الطبيب، من أهل إِشْبِيلِيَة يكنى أبا الحسن كان عالمًا بالطب والتعاليم مقدمًا فى صناعتها معروفًا بذلك أخذ عنه أبو محمد عبد الوهاب بن المعتمد محمد بن عباد عند انقراض دولة أبيه[1].

وكان أبو محمد الذكور خيرًا وقورًا معلوم العدالة والنزاهة[2]، كان يلقب أيام رياستهم بعز الدولة[3].

أما **الثاني** فجمع مع علمه باللغة والنحو: علم الطب، وكانت له مشاركته فى هذا العلم بشِلْب، هو أبو محمد؛ عبد الله بن سيد أمير اللَخْمي، قَالَ ابْن عبد الْملك: كَانَ ذَا حَظّ صَالح من الطِّبّ، فضلا عن أنه روى عَن ابْن الرماك فى اللغة والنحو، وَروى عنهُ يعِيش بن الْقَدِيم، وَذكره ابْن الزبير فَقَالَ: كَانَ نحويًا لغويًا، لَهُ مُشَاركَة فى الطِّبّ[4].

وثالث هؤلاء العلماء كان فى "شقورة" حيث صنف فى علم الطب محمد بن علي بن عبد الله، الشقوري اللَخْمي (... - بعد 749هـ = ... – 1348م)، له (مقاله فى الطب من رأس الإنسان إلى قدميه)[5].

---

(1) ابن الأبار (ت658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج4 ص138، ترجمة رقم (397).

(2) ابن الأبار (ت658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج3 ص 106، ج4 ص138، فى ترجمة "المعيطي الطبيب"، عبد الملك المراكشي (ت703هـ): الإعلام، ج5 ص 97، ترجمة رقم (178).

(3) عبد الملك المراكشي (ت703هـ): الإعلام، ج5 ص 97، ترجمة رقم (178).

(4) ابن الأبار (ت658هـ): المصد السابق، ج2 ص 277، السيوطي (ت911هـ): بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، ج2 ص 45، ترجمة رقم (1390).

(5) تتوفر منه عدة نسخ مخطوطة: نسخة بالخزانه الملكيه (الحسنيه)، بالمغرب، الرباط، رقم الحفظ: (6323)، مجموع (267ك)، مجموع (1044)، ونسخة بالرباط بالمغرب (1035 د). نسخة بالخزانه العلميه الصبيحيه، بالمغرب، بمدينة سلا، رقم الحفظ: (4/135)، ونسخة بمعهد المخطوطات العربيه، مصر، القاهرة، رقم الحفظ: (769). خزانة التراث، فهرس المخطوطات، ج81 ص 106، رقم المسلسل (82262).

إلا أن هؤلاء الثلاثة لم يحققوا ما حققه ابن وفد فى هذا العلم؛ حيث سبقهم باطلاعه وتجلى منه فوائده العديدة كما أُشير سابقًا، ولا نعرف عما سبقت الإشارة إليهم سوى نيلهم حظًا أو نصيبًا من هذ العلم دونما ذكر لنبوغ أو تفوق فيه يبرز ما قدموه، ولا نجد ذلك سوى عند ابن وافد اللَخْمي؛ أعظمهم خاصة وأعظم أطباء الأندلس عامة.

أما "**علم البيطرة**" وهو علم طب الحيوان، فلا نجد من العلماء اللَخْميين ليعتني به ويُعطيه من العناية سوى ابن المُرْخي؛ أبو بكر، محمد بن علي بن محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز بن محمد بن الحسين بن كميل بن عبد العزيز بن هارون اللَخْمي (... – 615هـ = ... – 1218م)، وهو من أهل إِشْبِيلِيَة، له (كتاب فى الخَيْل)، فى علم الحيوان والبيطرة، وبيته عريق فى النباهة والكتابة[1]. ومن قوله فى قصيدة يخاطب بها أستاذه أبا العباس ابن سيد المعروف باللص:-

سأهجرُ العلم لا بُغضاً ولا كَسلا ** حتَّى يقالَ ارعوى عن حُبّه وسلا
ولا أمرُّ ببيتٍ فيه مسكنُه ** كي لا يمثَّلَ شوقي حيثما مَثلا
إذا ظمئتُ وكان العذبُ ممتنعًا ** فلستُ عن غير ذاك العذبِ معتزلا[2]

2- علم الفلاحة:-

عرفّ ابن خلدون (ت808هـ) هذا العلم بإنه: "النظر فى النبات من حيث تنميته ونشؤه بالسقى والعلاج وتعهده بمثل ذلك"[3].

وقد تبوأ الأندلسيون المقدمة والصدارة بين علماء الزراعة فى العالم الإسلامي كله، وهذا عائد أولا إلى طبيعة شبه الجزيرة الأندلسية، وكثرة أنهارها وبقاعها الخصبة وتنوع أقاليمها وتربتها.

(1) ابن الأبار (ت658هـ): المصدر السابق، ج2 ص 112، تحفة القادم، ص 174، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج13 ص 449، الصفدي (ت764هـ): الوافي بالوفيات، ج4 ص 114.
(2) ابن الأبار (ت658هـ): تحفة القادم، ص 174.
(3) ابن خلدون (ت808هـ): تاريخه، ج ص 652.

وثانيًا إلى نبوغ أهل الأندلس فى علم الزراعة وفنونها ومهاراتهم الواسعة فى فلاحة الأرض وغرسها والعناية بها حتى تينع ثمارها على أطيب صورة[1].

وكان للعلماء اللَخْميين دور عظيم فى جعل الأندلس بهذه الصدارة فيما تجلى من عناية العلماء اللَخْميين بعلم الفلاحة والنبات والمشاركة فيه، وذلك فيما ذُكر عن ابن وافد أَبُو الْمطرف الْحَكِيم المالكى الأندلسي، عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن عبد الْكَرِيم بن يحيى ابن وَافد بن مهند اللَخْمى الْوَزير (389 – 467هـ = 998م – 1074م)، له كتابًا سماه (الفلاحة)، وهو مجموع مفيد، ذكره ابن الأبار، قائلا: "له فى (الفلاحة) مجموع مُفيد وكان عارفًا بوجوهها، وهو الذي تولى غرس جنة المأمون ابن ذي النون الشهيرة بطُلَيْطُلَة"[2].

ولعل قول ابن الأبار حول هذا المجموع بإنه "مفيد" يعني وقوفه عليه، واطلاعه على محتواه بما أهله للتقرير بقيمته وفوائده التي جمعها ابن وافد عن علم الفلاحة، كما يشير إلى علمه بمعرفة وجوهها أيضًا، وكان لهذه المعرفة دورها وأثرها فى تولي ابن وافد زراعة حدائق المأمون بطُلَيْطُلَة، والتي لا شك أن ذيوع شهرتها جاءت على يد ما قدمه ابن وافد من براعة التصميم والشكل والتنوع فيما قام على غرسه من نباتات.

كما اعتنى بهذا العلم برواية كتبه؛ الْوَزير الْكَاتِب أَبُو بكر؛ مُحَمَّد بن عبد الْملك بن عبد الْعَزِيز اللَخْميّ (...–536هـ=...–1141م)، فيذكر عنه أنه حدث بكتاب (النَّبَات لأبي عبيد الْبَكْرِيّ

(1) علي الدفاع: إسهام علماء العرب والمسلمين فى علم النبات، ص 31، سعد عبد الله البشري: الحياة العلمية فى عصر ملوك الطوائف فى الأندلس، ص 631.

(2) ابن الأبار (ت658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج3 ص 13، ابن الزبير (ت708هـ): صلة الصلة، ص 124، ترجمة رقم (284)، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج10 ص 251، البغدادي (ت1399هـ): هدية العارفين، ج1 ص 517.

"ت487هـ/1094م")[1]. وهذا كلام ابن خير الإشبيلي فى "فهرسته"، وفي ثبت مؤلفات البكري كتابًا فى هذا الموضوع تحت عنوان "أعيان النبات والشجرات الأندلسية"[2].

الجدير بالذكر أنه طيلة عدة قرون ابتداء من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، يكاد يكون كل كتاب قيم فى علم الزراعة صادر عن علماء الأندلس، كما أن النشاط الزراعي فى ذلك القطر أتى بإنجازات حضارَيّة رائعة قل أن توجد فى غيره من الأقطار[3].

3- علم الفلك:-

لم يكن لعلماء قبيلة لَخْم كثير عناية بعلم الفلك مثله مثل علم الفلاحة وإذا كان هذا العلم قد جاء فيه التأليف والعناية بكتبه، فإن للَخْميين اهتمام وعناية بعلم الفلك على نفس القياس أيضًا تجلت عند أَبُو عبد الله البستى؛ مُحَمَّد بن أَحْمَد بن هِشَام بن إبراهيم اللَخْمى الأندلسي (... - 577هـ = ...- 1181 م)، وله (شرح منظومه فى المنازل والبروج)[4]، وله أيضًا (شرح العينيه: شرح قصيده أبي علي بن الهيثم البغدادي) فى الفلك، وعلم النجوم[5]. وهكذا جاء دور علماء قبيلة لَخْم محدودًا فى "علم الفلك" بالشرح لهذا العلم وتبيانه، فضلا عن أن البارز فيه عالمًا واحدًا لا نجد غيره من العلماء يضارعه فى قبيلة لَخْم.

---

(1) ابن خير الإشبيلي (ت575هـ): فهرسته، ص 336.

(2) الصفدي (ت764هـ): الوافي بالوفيات، ج17 ص 156، الذهبي (ت 748هـ): سير أعلام النبلاء، ج19 ص 35 – 36، الزركلي: الأعلام، ج4 ص 98.

(3) سيد حسن نصر: العلوم فى الإسلام، ترجمة مختار الجوهري، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، (1398هـ/1978م)، ص 193.

(4) مخطوط محفوظة بالخزانة الملكية (الحسنية) بالرباط-المغرب، (مجموع 7432). مركز الملك فيصل: خزانة التراث – فهرس مخطوطات، ج81 ص 920.

(5) مخطوط محفوظ بمعهد المخطوطات العربيه، بالقاهرة-مصر، رقم الحفظ: (135)، وهنالك نسخة بدار الكتب المصريه، تحت رقم (1051-ميقات). مركز الملك فيصل: خزانة التراث – فهرس مخطوطات، ج84 ص 435.

وورد هذا المخطوط أيضًا بعنوان: (شرح قصيده ابن الهيثم فى النجوم). مركز الملك فيصل: خزانة التراث – فهرس مخطوطات، ج86 ص 791.

وهنالك إشارة واضحة عن اهتمام الملك المعتمد بن عباد اللَخْمي بهذا العلم، الذي توثقت صلته بألمع فلكيي الأندلس؛ العلامة الشهير أبو اسحاق إبراهيم بن يحيى التجيبي النقاش الطليطلي المعروف بابن الزرقال، وكان له منزلة عظيمة لما قدمه من جهود موفقة فى الفلك فأهدى عددًا من مؤلفاته إلى المعتمد بن عباد اللَخْمي، ومنها كتابه "العمل بالصفيحة الزيجية"، وفي مقدمته يقول: " .. وإني أيد الله المعتمد على الله المؤيد بفضل الله، لما رأيت الناس يتوسلون بأنواع من التوصل ويتوصلون إلى خدمته بضروب من التوصل .. لم أرى اتحاف حضرته الجليلة إلا بما يطابق مذهبه الشريف .. فصنعت له آلة شريفة يتوصل بها إلى تقويم الكواكب السبعة ويعلم بها ما يعرض لها من الاستقامة والرجوع .."[1].

وهذا الجانب أوردناه مكملا للصورة العلمية عن دور قبيلة لَخْم؛ فإذا لم يبرز من علماء القبيلة كثير من يعتني بهذا العلم، فعلى الجانب الآخر شملت عناية بني عباد اللَخْميين رعاية العلماء غير اللَخْميين بالأندلس، الذين كانوا فى سلطانهم بإِشْبِيلِيَة، وكان منهم العالم أبو مسلم عمرو بن أحمد بن خلدون الحضرمي (ت 449هـ/1057م)، وكان من أعيان مدينة إِشْبِيلِيَة، وذاع صيته ي الفلسفة والبراعة فى الرياضيات والفلك[2].

ويمكن أن يتساءل المرء عن تأخر العلماء اللَخْميين فى الاشتغال بهذه العلوم فضلا عن ندرتهم، وهذا التساؤل إجابته ترتبط عمومًا بإن الأندلسيين كانوا أول عهدهم أكثر التصاقًا بعلوم

(1) ابن زرقال: العمل بالصفيحة الزيجية، (مخطوط) يعود تاريخه إلى (639هـ)، المتحف البريطاني، محفوظ تحت رقم (426)، وهو مكون من عدة صفحات، ترقيمها من (103و إلى 107و) ، رقم الاستدعاء: (Add MS 7473, ff 103r–107v). وقد قام على تحقيقه مياس بياكروزا، وترجمه إلى الإسبانية ونشره فى كتابه "دراسات حول الزرقالي- باللغة الإسبانية"، مدريد، غَرْنَاطَةُ، (1943–1950م)، ص 75، وما بعدها، سعد عبد الله البشري: الحياة العلمية فى عصر ملوك الطوائف، ص 589 – 590.

(2) ابن صاعد (ت462هـ): طبقات الأمم، ص 95، ابن أبي أصيبعة (ت668هـ): عيون الأنباء، ص 485، المقري (ت1041هـ): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج3 ص 376.

الدين واللغة، وهو الدور الأوضح والأجزل عطاءًا فى مسيرة علماء قبيلة لَخْم فى الحياة العلمية بالأندلس.

ولكن على كل حال جاءت عناية العلماء اللَخْميين بالعلوم التطبيقية (أو التجريبية) ضئيلة للغاية، وإن ظهرت عنايتهم الجليلة بعلم الطب بشكل أكثر عمقًا من خلال أحد علمائها الأجلاء هو ابن وافد اللَخْمي، ثم جاءت حقول هذا العلم الأخرى كعلم الفلاحة وعلم الفلك أقل عناية من غيرها. والفقرات التي وضعت عن هذه العلوم التي يتبين فيها دورهم جاءت قليلة لقلة العلماء المشتغلين بهذه العلوم.

الخاتمة

في ختام هذا البحث المتواضع نحاول أن نتملس آثار هذه الدراسة وما تمخضت عنه من نتائج علمية؛ هي الغاية والمطلب من وراء هذا الجهد البسيط.

والحق أن موضوعًا كموضوع (دور قبيلة لَخْم فى الحياة العلمية بالأندلس من القرن الثالث الهجري إلى القرن السابع الهجري)؛ يكشف لنا عن حقيقة هامة وهي قدرة هذه الأمة على العطاء والبذل بسخاء في ميادين الحضارة الإنسانية المختلفة حتى في أحلك الظروف وأشق المواقف وأصعب الأحوال ونقصد بذلك عصر ملوك الطوائف الذي اضطربت فيه الأحوال السياسية والعسكرية، ورغم ذلك أتسم علماء هذه القبيلة بإنهم كانوا سباقين في ميدان الحضارة والمعترك العلمي؛ فنهضت على أيديهم كثير من العلوم والآداب كما كان لبني عباد في إشبيلية وقرطبة اهتماماتهم الأدبية والشعرية، وكانوا مولعين بهذا اللون من المعرفة فأضحت مملكتهم قطب النشاط الأدبي وأصبح بلاطهم ملجأ الأدباء والشعراء وعلى منوالهم صار الكثيرون، هذا بالإضافة إلى الجم الغفير من العلماء اللخميين الذين ذاع صيتهم هنا وهناك.

وإذا ما جئنا إلى ذكر ما أنجزه علماء قبيلة لخم بالأندلس من إنجازات علمية، وقفنا على حقيقة هامة وعظيمة، وهي أن الأندلسيين أثبتوا من خلال نشاطهم العلمي قدرات علمية واسعة في طرق أبواب المعرفة المختلفة وأن الشخصية العلمية الأندلسية أثبتت ذاتها وقدرتها على بناء كيانها العلمي واعطائه الطابع الأندلسي المميز .. فعلماء قبيلة لخم لا تزال كثير من آثاراهم العلمية بين أيدينا تمثل أعظم شاهد وأوضح برهان على مكانة أولئك العلماء وقدرتهم العلمية العظيمة.

لقد كان الدور العلمي لقبيلة لَخْم صفحة مشرقة فى تاريخ التراث العربي بالأندلس فى الفترة المذكورة؛ تلك الفترة التي ذخرت فيها الأندلس بتطورات علمية هامة، يأتي فى مقدمتها العلوم

الدينية ويبرز فيها حدث تغير المذهب الفقهي لأهل الأندلس عن مذهب الإمام الأوزاعي إلى مذهب الإمام مالك من خلال مشاركة علماء المالكية اللَخْميين بشكل خاص، بداية من دور الفقيه المالكي زياد بن عبد الرحمن، المعروف بزياد شبطون (ت204هـ/819م)، والتي تحفل كتب التراجم والطبقات بالتأريخ لحدث إدخاله موطأ الإمام مالك إلى الأندلس "مُكملا مُتقنًا"، كما تزخر بالتأريخ لدور من جاء بعده من الفقهاء اللَخْميين فى العناية بالمذهب المالكي.

أما على صعيد العلوم اللسانية؛ فقد ظهر من قبيلة لَخْم أجل أهل اللغة والنحاة بالأندلس هو أحمد ابن هشام اللَخْمي (ت577هـ/1181م)، الذي أثرا مكتبة التراث العربي بالمؤلفات اللغوية الرائعة، وغيره من علماء اللغة والنحو اللَخْميين. كما شهدت الحياة الأدبية تطورًا كبيرًا على أيدي أهل الأدب اللَخْميين، وفي مقدمتهم بني عباد بِإِشْبِيلِيَة (414– 484هـ = 1023– 1091م) بإنشائهم ديوانًا للشعراء. كما اشتهرت قبيلة لَخْم بجلة الأدباء وفحول الشعراء من أمثال: ابن اللبانة اللَخْمي الإشبيلي (ت507هـ/1113م)، والشاعر الأندلسي العريق ابن الزقاق اللَخْمي البلنسي (ت528هـ/1134م). وفي العلوم التطبيقية أنجبت الأندلس عالم الطب والصيدلة الشهير ابن وافد اللَخْمي الطليطلي (ت467هـ/1074م)، الذي كان أحد أشراف أهل الأندلس، وأبرع أطبائها وأعظمهم تمكنًا فى الصيدلة، فكان الطبيب والصيدلي المشهور والوزير المعروف. وهذا غيض من فيض.

ويمكن أن نبين **أهم النتائج العلمية التي توصلت إليها الدراسة من الناحيتين الاجتماعية والعلمية** باعتبارهما الأساس الذي قامت عليه الدراسه في ضوء النقاط التالية:-

- **من الناحية الاجتماعية:-**

أولا:- تجلت تلك المكانة السامقة والمقام الرفيع لقبيلة لَخْم بالأندلس منذ الفتح الإسلامي لها ودخولهم واستقرارهم بالمواضع المختلفة منها. كما تجلى انتشار علمائها فى مواضع كثيرة منها بلغت نحو الثلاثة والثلاثين موضعًا، وجاء فى مقدمة هذه المواضع "إِشْبِيلِيَة" و"قُرْطُبة"؛ اللتان اعتبرناهما بيوتات اللخميين الأولى بالأندلس، حيث استقر فيهما العدد الأكبر من أبناء هذه القبيلة. ومن ناحية أخرى تبين انتشار أبناء هذه القبيلة بالأندلس فى ضوء رحلاتهم العلمية داخلها؛ فكان منهم من استقر بالموضع الذي رحل إليه فاتخذه موطنًا له؛ وقد عبر ذلك من جانب آخر على تجوالهم بكافة مناحي مدن الأندلس، وجاء ذلك لاتخاذ الموضع الذي رحل إليه موطنًا وسكنًا من ناحية، ولطلب العلم أو إكسابه لطلبته فى الوقت ذاته من ناحية أخرى.

ثانيًا:- جاءت البيوتات العلمية فى قبيلة لَخْم صفحة مشرقة فى تاريخ الأسر العلمية بالأندلس، وتبين من خلال ترتيبها وتهذيبها بتحديد مواضعها وبيوتات كل موضع؛ أنها أسهمت فى تكوين الصورة العلمية للأندلس فى تلك الفترة، واتضح كذلك إسهام الآباء نحو الأبناء فى بناء هذا الصرح العلمي الكبير لقبيلة لَخْم؛ والذي أسهم بدوره الجليل فى الحياة العلمية ونشاط حركتها، فضلا عن إعطاء صورة رائعة عن الصلات العلمية بين أبناء الأسرة العلمية.

ثالثا:- تبينت طبيعة المجتمع العلمي بالأندلس وحبهم للعلم وتقديرهم للعلماء في ضوء بيوتات قبيلة لَخْم، وقد شاهدنا كيف كان ذلك التواصل بين هذه البيوتات العلمية فى الأخذ عن الجد والأب والعم وأبناء العم. كما كانت أعظم البيوتات العلمية في قبيلة لخم تلك التي تكونت بإشبيلية وقرطبة، واتضحت من خلالهم الصورة العلمية بشكل جليل وطيب في ضوء جهود أبنائهم، وعلى الرغم من تلك المفارقات العلمية التي ظهرت من بيت لآخر من حيث عدد العلماء بكل بيت ونباهة علماؤه؛ إلا أنهم جميعًا كانوا نقاط مضيئة في تاريخ الحياة العلمية بالأندلس منذ طلب العلم حتى

النبوغ فيه والوصول إلى تدريسه. كما كان علماء قبيلة لخم على صلات وطيدة بشيوخ العلم بالأندلس، وتحققت في ضوء هذه الصلات مكاسب علمية وحركة فكرية بينهم، فضلا عن التواصل بين شيوخ المدن الأندلسية بعضها وبعض عن طريق علماء قبيلة لخم؛ حيث الرحلة لطلب العلم على أيديهم.

- **من الناحية العلمية:-**

أولا:- تنوعت إسهامات علماء قبيلة لَخْم فى الحياة العلمية بالأندلس، وتعددت عنايتهم نحو موضوعات العلم بها؛ فجاءت فى العلوم الدينية، والعلوم اللسانية، والعلوم الإنسانية، والعلوم التطبيقية، وهو الترتيب الذي جاء فى عناوين فصول الدراسة، لبحث دورهم فى هذه العلوم. كما حفلت المصادر بتراجم علماء قبيلة لَخْم مشيرة إلى دورهم فى هذه العلوم بداية من طلب العلم، ثم تدريسه مع العناية بكتبه، ثم التأليف فيه.

ثانيًا:- جاء دور علماء قبيلة لَخْم جليلا وعظيمًا فى العلوم الدينية: علوم القرآن والحديث والفقه، وتبينت براعتهم وإجادتهم فى هذه العلوم بداية من طلب العلم على يد الشيوخ ثم تدريسها ثم التأليف فيها. كما تجلى دورهم الكبير فى العلوم اللسانية: اللغة والنحو، والأدب والشعر، وهي من أجل العلوم التي عني فيها العلماء اللَخْميين بالتأليف.

ثالثًا:- تجلى ضعف عناية علماء قبيلة لَخْم بالعلوم التطبيقية: كالطب والفلاحة والفلك، وهي العلوم التي اتضحت فيها دور علماء قبيلة لَخْم، ونجده قليلا، فقد جاء اهتمامهم بالعلوم الدينية واللسانية على حساب العلوم التطبيقية، التي نبغ فيها مجموعة قليلة من العلماء كعالم الطب ابن وافد اللَخْمي، ولكن فى الوقت نفسه كان لابن وافد دورًا جليلا وعظيمًا بالإضافة إلى مكانته وإسهامته فى

هذا الحقل، كما أشرنا. كما جاء دورهم ضئيلا فى العلوم الإنسانية: التاريخ والأنساب وعلم التعبير، وهي العلوم التي بحثناها فى هذا الجانب كما تبين.

رابعًا:- ونشير هنا أن ترتيب فصول الدراسة وعناوينها جاء مُعبرًا عن قدر دورهم فى الحياة العلمية بالأندلس، فكانت مادة العلوم الدينية كبيرة جدًا وعبرت فى الوقت نفسه عن دورهم فيها، ثم جاء دورهم فى العلوم اللسانية، وهو دور أقل قليلا عن دورهم فى العلوم الدينية، ثم جاء دورهم فى العلوم الإنسانية والعلوم التطبيقية، وهو دور أقل كثيرًا عن دورهم فى العلوم الدينية واللسانية.

خامسًا:- أضاف العلماء اللَخْميين ثروة عظيمة من المؤلفات العلمية لمكتبة التراث العلمي، وقد أسهمت بشكل كبير فى تطور العلوم، والتي جاء فى مقدمتها العلوم الدينية، والعلوم اللسانية، ثم العلوم الإنسانية والعلوم التطبيقية (التجريبية). وهذا دليل عظيم على تنوع دورهم فى مختلف العلوم وجهودهم المختلفة نحوها وإن كان دورهم بترتيب العلوم المذكورة جاء تنازليًا ولم يكن ثابتًا، ولكن على كل حال، مهما توزعت أدوار علماء قبيلة لَخْم فى الحياة العلمية بالأندلس، فقد باتت هنالك حقيقة لا ننكرها حين نقرر أن حياة الأسرة العلمية بالأندلس، تلك التي عبرت عنها القبيلة فى مفهومها الواسع، جاءت عظيمة وجليلة بهذا الاتساع الكبير والشمول العظيم فى كافة مناحي العلم بالأندلس، ولعلنا أحوج لدراسة دور القبائل العربية الأخرى فى الحياة العلمية بالأندلس لتتضح الصورة كاملة، وأدعو الله تبارك وتعالى أن يكن بحث دور "قبيلة لَخْم" فى الحياة العلمية بالأندلس، فاتحة لذلك بإذنه سبحانه وتعالى، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

سادسًا:- من خلال الدراسة لتراث علماء قبيلة لخم باعتباره جزاء من التراث الأندلسي، تبين لنا أيضًا أن هذا التراث لا يزال يحتاج إلى جهود الباحثين نحو جمعه وترتيبه، فهنالك العديد من

المؤلفات العلمية التي تتعلق بعلماء قبيلة لخم توصلنا إلى الوقوف عليها بصعوبة، وقد تجلت هذه الصعوبة في ورودها بكتب الفهارس تارة مختصرة وتارة كاملة، فضلا عن اسماء مؤلفيها، الذين يأتي ذكرهما بها تارة بالإشارة إلى اسمه كاملا وتارة بالإشارة إلى كنيته أو ما اشتهر به، وقد أدى ذلك إلى تشتت في الوقوف على هذه العناوين والتحقق من نسبتها إلى مؤلفيها، ولعل ذلك يدفعنا إن شاء الله تبارك وتعالى إلى الوقوف على جمع وتحقيق شيئًا من ذلك فيما بعد وإعداد فهرس خاص لتراث علماء الأندلس وتحقيقه إن شاء الله تبارك وتعالى، مع تبيان ما هو مخطوط أو مطبوع أو مفقود ..الخ.

سابعًا:- وأخيرًا إنه لطالما أن "بحث الرسالة" سمي بهذه الاسم ليحمل فى طياته "رسالة علمية" فالواجب إبانة هذه الرسالة التي قدمها البحث، والتي نجد أن فحواها يتجلى فى الكشف عن أثر الاجتماع على العلم وتكون بيوتات العلم عند المسلمين ودور علماء هذه البيوتات فى إحرز دورًا علميًا طيبًا يقوم على نشر العلم وتدريسه والعناية بكتبه فضلا عن التأليف فيه؛ بما ينفع ويفيد فى تهذيب النفوس وشحذ الهمم وتنوير المجتمع بثلة من خيرة أبنائه النجباء والفضلاء، ولعلنا نضع فى قبيلة لَخْم النموذج والقدوة فى ضوء بيوتاتها والعلماء المنتسبين إليها بالأندلس.

كما أخبرتنا الدراسة بمكانة وجلالة الأسرة العربية وشأوها فى الحياة العلمية بالأندلس، بما يكشف طيبها العطر فى تاريخ الإسلام ومدى الحاجة إلى بعث هذا الطيب وهذا العطر الحضاري الجميل بين أبناء البيوتات العربية فى يومنا هذا؛ لينشأ لدينا جيلا طيبًا حميدًا.

وأسأل الله العلي القدير أن يجعل بحثنا فى ميزان حسناتنا، وميزان حسنات من يقرأه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.